ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:09، العدد: 01(2024) ص: 60 - 69

نسق الغيرية وتمثل الآخر الأنثوي في رواية "كتاب الخطايا" لسعيد خطيبي

Patters of Otherness and the Representation of Feminine "Other" in Saïd Khatibi's The Book of Sins

*مقاق عبد الحميد
جامعة محمد البشير الإبراهيمي مخبر الشعرية الجزائرية
Abdlhamid.megag@univ-bba.dz

رزيق بوعلام
جامعة محمد البشير الإبراهيمي
Boualem.rezig@univ-bba.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/01/07
تاريخ القبول:
2024/04/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **النسق**
- ✓ **الغيرية**
- ✓ **الآخر الأنثوي**

الملخص:

تروم هذه الدراسة التطرق إلى أحد المتون السردية الجزائرية متمثلة في الروائي الشاب سعيد خطيبي من خلال روايته "كتاب الخطايا" وما تطرحه من قضايا وآراء، حيث حاولنا تعرية الأنساق الثقافية المضمرة و الأنساق الغيرية و الكشف عن تمثيل الآخر الأنثوي في الرواية وكيف استطاعت كل هذه السلطات المهيمنة توجيه الآخر الأنثوي إلى طريق محفوف بالمخاطر و التناقضات و الصراعات النفسية و الاجتماعية ، ومن خلال تتبعنا لتمثلات الآخر الأنثوي و الأنساق الغيرية داخل النص الروائي بتوظيف النقد الثقافي و أدواته الإجرائية بغية الوصول إلى مقاربة ثقافية تنطلق من محاولة فهم الذات وصولا إلى فهم الآخر وانتهاء إلى فهم النص المفتوح على عدة قراءات ، وقد توصلنا إلى النتائج مهمة من بينها : التسلط بمختلف أشكاله على الآخر الأنثوي وفشل المؤسسة الاجتماعية في احتواء الهامش وسطوة المركز على الهامش ، ومعاناة الأنوثة من الاستبداد الذكوري والاجتماعي.

Article info

Received
07/01/22024
Accepted
01/04/2024

Keywords:
- ✓ *pattern:*
- ✓ *Otherness*
- ✓ *The Feminine Other*

Abstract :

This study aims to explore the narrative corpus of the Algerian literature with a special focusing on The Book of Sins by the Algerian young novelist Saïd Khatibi. The research delves into the issues raised within the text in a quest for uncovering the embedded cultural patterns and the representations of the feminine "Other" in the novel. The essay endeavours to expose the cultural nuances, otherness patterns, and reveal the representation of the feminine Other in the narrative. The study investigates how dominant powers direct the feminine Other towards a path fraught with risks, contradictions, psychological and social conflicts. By employing cultural criticism and its procedural tools, the research aims to develop an interpretative approach that begins with understanding the self, extends to understanding the Other, and concludes with comprehending the text that is open to multiple readings. The findings suggest that the feminine Other is controlled by the various authorities, and that the social institution fails to contain the margin. Additionally, it can be concluded that the dominance of the centre over the margin and the failure of the feminine Other to transition to the center are evident themes within the narrative.

*مقاق عبد الحميد

1.مقدمة

ظلت ا لرواية الجزائرية تتحسس طريقها بخطوات ثابتة عبر أشكال و ألوان سردية مختلفة بداية من التأسيس إلى التجريب عبر أقلام روائية واعدة لعل من بينها الروائي الشاب "سعيد خطيبي" الذي اقتحم ميدان السرد بأعمال روائية متواترة منها رواية "أعراس النار" و"جنائن الشرق الملتهبة" و" أربعون عاما في انتظار ازابيل" وغيرها... وتعد رواية "كتاب الخطايا" أحد الأعمال المهمة التي تجاوز بها الكاتب المألوف و المسكوت عنه حيث أقحم نفسه في ما يسمى بالغيرية كإجراء يعمل على فهم الآخر من منطلقات وجودية تجسد صراع الأنا و الآخر وداخل هذه الثنائية المتناقضة تكمن إشكالية العلاقة مع الآخر والغير .

وقد أضحت العلاقة بين الذات و الغير أو الآخر علاقة مهمة جدا إبداعيا ونقديا ولطالما كانت الدراسات الثقافية للأدب تركز على مفاهيم الغيرية والآخرية بمختلف أشكالها وتجلياتها لمحاولة فهم النصوص وفهم الذات من خلال الآخر باستحضاره أو تمثيله أو الانفتاح عليه .

وقد اعتمدت الغيرية –كإجراء في النقد الثقافي– كمفهوم ينطلق من التأسيس الفلسفي إلى التطبيق العملي في المقاربات النقدية للنصوص الأدبية والسردية التي تجعل من الآخر موضوعا لاختبار الممكنات السردية والإبداعية التي تقوم على الاعتراف والتواصل والتفاهم ليس من أجل التعرف على الآخر فحسب ولكن من أجل اكتشاف الأنا من خلال التباسها بذاتها واشتباكها مع الآخر في آن .

إن الموضوع الذي سنعالجه في هذا المقال هو تمثلات الغيرية و الآخرية في رواية كتاب الخطايا لسعيد خطيبي باعتباره موضوعا مناسبا لاستبطان الأنساق الغيرية المضمرة داخل النص ، ولما كانت الرواية (كتاب الخطايا) تتحدث عن الآخر الأنثوي الذي يسرد تفاصيل خطاياه بل يعترف بها في كتاب، ومن هنا يمكننا أن نطرح السؤال الجوهري : ما هو مفهوم الأنساق الغيرية؟ وماهي تمثلات الآخر الأنثوي في رواية كتاب الخطايا لسعيد خطيبي؟

2– مفهوم الأنساق الغيرية و الآخرية

يعد مفهوم النسق Systemمفهوما مركزيا في الدراسات الثقافية حيث يحيل على مجموع الدلالات والنظم التي تشكل معنى كامنا وراء الخطاب والنسق بخلاف النظام يقوم على الاحتجاب والتخفي باعتبار أن للثقافة أنساق مهيمنة تتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي، وراء أقنعة سميكة وأهم هذه الأقنعة هو الاختباء وراء الجمالية المتجسدة في الخطاب الأدبي"خليل،ص293"،أما مفهوم الغيرية Alterity مأخوذ من الكلمة اللاتينية Alteritas وهي تعني الحالة التي يكون عليها الآخر أو المختلف، و Alterigoتعني الأنا

الأخرى وقد تبنى الفلاسفة مصطلح الغيرية بديلا على الآخرية Otherness، وذلك لتأكيد التغير الذي طرأ على الفكر الغربي حول العلاقة بين الوعي والعالم،"خليل، ص23"ويعد مفهوم الغيرية والآخرية من المفاهيم الفلسفية التي ظهرت في بداية الأمر كمعطى فلسفي تبناه "أوجست كونت" ثم "سبنسر" أين انتشر واستخدم في الكتابات الفلسفية وهو أيضا معطى أخلاقي غير أن الغيرية تنطلق من فكرة وجودية تتشكل فيها صورة الآخر من خلال علاقة الأنا بالغير وهي علاقة متشابكة متكاملة ومتعاكسة ولقد أسست الغيرية نقديا مباحث مركزية وأسست تيارات فكرية، "وبالنظر إلى هذا المسار فقد شكل الانشغال للمركز و الهامش ، و الهوية و الاختلاف ، من حيث هي تفريعات لسؤال الغيرية " **ماجدولين ،2012 ، ص18**،ولكي نعرف الأنا لا بد من وجود الآخر ،فهي مقاربة تأويلية لفهم النصوص فبعد أن كان الأنا هو القضية المركزية في جل الدراسات الفكرية و الأدبية أصبح الآخر أو الغير هو المركز انطلاقا من المرجع "الأنا" الذي لا يمكن تحديد "الآخر" أو "الآخرون" إلا على ضوئه فردا كان أو جماعة ، وإن كانت الغيرية ترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات المقارنة أي بين أدبين قوميين مختلفين مما يصنع فكرة المغايرة ابتداء ، وفي هذا السياق يقول بول ريكور "إن التأويل هو عمل الفكر الذي يتكون من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر ، ويقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي . وإني إذ أقول هذا ، فإني أحتفظ بالمرجع البدئي للتفسير ، أي لتأويل المعاني المحتجبة ، وهكذا يصبح الرمز و التأويل متصورين متعالقين . "**ريكور ، ترجمة منذر عياشي ، 2005 ، ص44** .

أما و إن فكرة الآخر قد أصبحت موجودة داخل الأمة نفسها لا بين أمتين مختلفتين ثقافة وحضارة ولغة وعرقا ،فإن فكرة الغيرية المرتبطة أساسا على فكرة الآخر مستندا إلى مرجع "الأنا" تتضح من خلال الثنائيات الضدية (عرب غرب ، أقلية أغلبية ، ذكر أنثى ، بيض سود ، مركز هامش، ...الخ).

ولفك اللبس بين المفاهيم خاصة في هذا السياق أي بين الغيرية و الآخر وعطفا على ما سبق ترتيبا و استنتاجا ، فإن الغيرية تعني العلاقة بين "الأنا" و "الأخر" كمفهوم محوري في فهم الذوات أي أنها مقاربة تأويلية تبنى على معرفة "الآخر" وانطلاقا من "الأنا" مرجعا .

فالغيرية هي منطق إنساني في عالم إنساني ؛ "إذ العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" هي الخيط الناسخ للنص الإبداعي" **لبيب ، 1999 ، ص 38** .

والآخرية أو ما يسمى بمقولة صورة "الأخر" رغم حضوره اللافت في معظم الدراسات و الكتابات المعاصرة و الذي يمكن تعريفه (الآخر) بأنه فرد أو جماعة مرجعه "الأنا" كعامل للتمايز و المغايرة يختلف إطاره باختلاف غيريته ، ويبدو أن تبادل الأدوار بين "الأنا" و "الأخر"

كحضور وجودي للكينونة الغيرية ، "فالآخر" لا بد له من "أنا" و "الأنا" لا بد لها من "آخر" ، يثبت ذاتها و ذواتها ؛ فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية يتحدد حضور إحداها بحضور الأخرى.

وفي المفهوم الأدبي تأتي الغيرية حسب باختين في الطريقة التي ينأى بها المؤلف عن التوحد مع الشخصية وعلى المؤلف أن يتعامل مع الشخصية من الداخل بوصفها آخر أي منفصلة بغيريتها عن المؤلف"خليل ص238" وربما حاول خطيبي تتبع هذا النهج في رواية كتاب الخطايا من خلال تقمص الذات الأنثوية البطلة والتحرك من خلالها في عمل ملفت وطريف تشتبك فيه الأنا بالآخر.

3–سعيد خطيبي واستحضار "الآخر" الأنثوي في كتاب الخطايا .

تعتبر رواية كتاب الخطايا لسعيد خطيبي محاولة جيدة لاستحضار الآخر الأنثوي من خلال تحرير اللغة من الذكورة و منحها الجسد الأنثوي و الحديث بصوتها أو ما يسمى بالتقمص وهو ما جعل القارئ يتعرف على واقع المرأة الجزائرية بكل تفاصيله وحيثياته حيث يسرد لنا واقعها وكم العنف الذي تفرضه السلطة الذكورية بكل أشكالها ومحاولة إدانة وتجريم المرأة و إحكام السطوة و السيطرة على الجسد الأنثوي ، لا شك أن كتاب الخطايا عنوانا للرواية هو عنوان ثقافي بامتياز إذ استطاع أن يكون له حمولة ثقافية ، تقتضي قائمة من الممنوعات و المحظورات التي وقعت فيها البطلة وهو أشبه بكتاب للاعتراف ، وباعتبار العنوان بنية دالة على مضمون النص "كتاب الخطايا" عنوان الرواية يعني أن قائمة من الخطايا كتبت في هذا الكتاب وهي سيرة ذاتية "لكهينة" بطلة الرواية وهي امرأة متحررة ترغب دائما أن تعيش وفق تصورها المخالف للنظام القيمي للدين و العادات و التقاليد الاجتماعية رغم أنه يقحمها في ثنائيات أخرى يتشكل بها الآخر (شيشناق ، ورمسيس) ذو الأبعاد التاريخية والثقافية (عربية ، أمازيغية) (أمويون أمازيغ) وفي كل هذا وذاك امرأة جزائرية تعبر عن أنوثتها الطافحة وإنسانة مطالبها بسيطة وطبيعية في حدود ما تقتضيه الإنسانية و الأنوثة ، فهي تريد ممارسة دورها كأنثى بغض النظر عن المؤسسة التي تكون فيها ، وأن يكون لها مصدر رزق لكن الأمر ليس بيدها فهو مكفول للمجتمع الأبوي الذكوري مما يدفعها إلى لعب دور الضحية الممتازة رغم أن المسافة التي تستغرقها في انتظار تحقيق أهدافها هي مجموعة من الخطايا و العلاقات الرجالية الممنوعة و المتشابكة و الفاشلة حتى عندما تكلل إحداها بالخطبة تكون منقوصة في نظرها تقول : "فكرة واحدة ظلت تراود ذهني منذ وقت طويل تمنع عني التمتع باللحظات الحميمية مع توفيق هي وجود سمير في حياتي ... أردت منه أن ينتفض أو ينسحب ..." **خطيبي 2015 ،ص 35–36** وتتحول البطلة كهينة إلى صراع وجودي ناتج عن أزمات مختلفة وتشظي الذات أمام الآخر في هذا المقطع :" تمنيت لحظة من اللحظات لو أني ولدت ذكرا لتجنب كل مشاق الحياة ... لعنت جنسي ولعنت جنس نساء العالم كله ، لعنت حواء

ولعنت أمي لأنها تزوجت وأنجبتني" خطيبي، 2015،ص 36" ومن خلال هذا المقطع تتمنى كهينة لو كانت ذكرا لأن أنوثتها سبب كل التعاسة و التأزم الذي تعانيه في رحلة البحث عن حل ومخرج من ضائقتها وسعيا لحرية تنشدها ترى حلا في الأفق : "الحل الوحيد هو الزواج من فرنسي مهاجر جزائري يحمل الجنسية الفرنسية ، أنجب منه أطفالا لأصير مثله فرنسية بجواز سفر أحمر اللون ، ثم أتطلق منه لأعيش بحرية "**خطيبي ، 2015 ، ص 40** .

لم تكتف كهينة بالحل الزواج من أجل الانعتاق و التحرر بل تواصل تحررها ولا تفكر بالاستقرار بمخططها الطلاق .

وهي في كل هذا وفي تعطشها للحرية تجعل المرأة الفرنسية قدوتها متمثلة في "بريجيت" وكيف ترى الحرية ومفهومها لدى الآخر وزيادة على أنها تمثل هامش المركز في مجتمعها ترى بأن سلم القيم عند الآخر يمثل مركزا واحدا لا هامش له في قولها : "أحسد بريجيت ابنة بيار على الحرية التي تتمتع بها ، تسكن بمفردها ، تعمل وفي نهاية الأسبوع تخرج كما تشاء مع من تشاء ، لا أحد يسألها أين ذهبت ؟ ومع من خرجت ؟" ص55 .

ومع ذلك فالذات التواقة للحرية هنا تجسد الآخر الأنثوي على حريته في تعريف يحدده المفهوم البسيط للذات الأنثوية في مجتمع ذكوري بامتياز ، فالمجتمع القبائلي المحلي مسيطر ومهيمن على المرأة يجعلها هامشا في مواجهة المركز .

4. أشكال تمثيل الآخر الأنثوي :

يحاول الكاتب استنطاق فشل الأنثى المتعددة العلاقات الفاشلة و التي رفضت الواقع بل وتمردت عليه منذ مراهقتها بعلاقتها العاطفية ومحاولتها الانتحار بعد فشلها في نيل شهادة البكالوريا فتحاول بتمردها كأنثى جريحة الانتقال إلى شكل آخر من التعليم وهو التكوين المهني لتنال شهادة تقني سامي في الإعلام الآلي. ويظهر في الرواية اسكات صوت الأنثى الذي يتجلى عن طريق الأم.

1.4.الأم :

تمثيل الأم في الرواية قائم في ثنائية (الأم و البنت) وقمع الرأي بعنف و باللغة المحبطة و المثبطة وفي حجة هي أقرب للتعنيف منها إلى الحجة حيث تقول عن أمها :" وإن حدث أن دافعت عن نفسي وخالفتها الرأي انهارت علي بكلمات أمازيغية حادة صرت أحفظها .. تيغردامنت (عقرب) ، تاكجونت (كلبة) ، ذافرهال (حمقاء)" .**خطيبي، 2015 ، ص 36**

ربما يتطلب هذا الكم من الأوصاف التي تطلقها الأم على ابنتها دراسة نفسية لمعرفة كم الإحباط و الإيذاء النفسي لهذه العبارات وهي تسقط على صاحبتها ومدى تأثيراتها على الشعور و الإحساس و النفسية .

2.4. الزوجة:

كما تحاول كهينة إلصاق كل خيباتها وفشلها بالمجتمع ومؤسساته وسلطه وأعوانه الماديين و الرمزيين و إن كانت تجد حلا وسطا – أحيانا – في أن تمارس رغباتها و نزواتها داخل مؤسسة الزواج وتنجب أطفالا شرعيين و أن تفعل كل ما تريد متى أرادت وهي بذلك لا تتحدث عن الذات فقط بل هي بصوت الضمير الجمعي (نحن) الذي ينشد العيش بأمان ومطالبها المتمثلة في ممارسة الجنس و الأمومة و العمل في ظروف جيدة مطالب أولية أو كما وصفها علم النفس بالحاجات الأولية (الجنس ، الأمومة ، الأكل و الشرب) "والجسد الذي تتحرك في سياقه الساردة جسد لمصدرين الأنثوي و الذكوري ، وهو هاجس المرأة ونواتها الحكائية " **بن السايح ، 2011 ، ص 118**.حيث يقول إسماعيل في رواية كتاب الخطايا "شممت في كهينة رائحة الأرض و الدم . ورأيت في عينيها دروب مولود فرعون الوعرة . ضممتها إلى صدري واستشعرت برودة قلبها المرتجف .. ضاجعتها ، بكل ما أمتلك من حكمة وقوة وخبرة ، لأنسيها ما عرفت من طفولة الرجال السابقين . قالت لي .. أنت الوحيد الوحيد الذي أشعرني باللذة" **خطيبي ،ص 104** .

3.4.أنثى هاربة من أنوثتها:

تعد فكرة الهروب اللعبة المفضلة للأنثى ؛ الهروب من الحاضر و من الماضي، الهروب إلى الغرفة تجنبا للتفكير في الضائقة الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية .. هروبا من العنوسة و البطالة و العادات و التقاليد و الدين ، وهي لعبة لطالما استهوت الأنثى فهي تمارسها في غرفتها أو تتمناها دائما في منامها ويقظتها حيث تقول : " ياريت نتزوج ويخلصني ربي منك ! الهروب إلى الغرفة يجنبني ملاحظاتها التي لا تنتهي.. " . **خطيبي ، 2015 ،ص37** .

فكرة الهروب من سجن الأنوثة بعد أن كانت حرة في سن الطفولة وكان جسدها في مرحلة الحرية و التماثل مع الولد بعيدا عن الرقيب ثم يستحيل الجسد الطفولي في انتقاله إلى المراهقة ليصل إلى أن تكون امرأة ناضجة بصفاتها البيولوجية و المرفولوجية وتصبح تحت طائلة المتابعة المجتمعية خاضعة للقوانين و العادات و التقاليد والدين وعندما تضجر من هذا السجن ومن مؤسسات المجتمع تحاول الهروب من قيد الأنوثة بل من قيد الذكورة من الانزواء و العزلة .

يواصل الكاتب سعيد خطيبي في اخبارنا ببطلته و التي رغم مستواها التعليمي المتواضع راسبة في شهادة البكالوريا وتحصلت على شهادة تقني سامي في الإعلام الآلي إلا أنها مع ذلك تحاول الغوص و الإبحار في عوالم جديدة تثبت حضورها بل وتؤكده على الفضاء الأزرق في

قولها : "أحاول غالبا التأكيد على حضوري في الفيس بوك بنشر مقولات و أمثال تتحدث عن الحب ، أقتبسها من كتب أو صفحات الآخرين .." . ص 38

كما يظهر توظيفها بيت نزار قباني كمقولة غيرية نموذجية وإن كان التوظيف متعمدا وواعيا من الكاتب إلا أنه انطباعي بالنسبة لكهينة، وهو مأخوذ من قصيدة بعنوان إلى رجل على لسان امرأة للشاعر نزار قباني .

ربما كان المتنفس الوحيد للترويح عن النفس أو الهروب و التطفل و التفاعل –أحينا- ، ولا تكتفي كهينة بفكرة الهروب الداخلي بل تحاول الهروب من المجتمع و البلد بكل مؤسساته القمعية وترى في أحلامها عمرا جديدا و أملا لا ينقطع : " في انتظار موعد الرحيل النهائي من الشركة ومن البلد اجمالا . لدي أمل كبير في تلقي رد إيجابي على طلب للهجرة إلى كندا ، فقد أرسلت الملف كاملا منذ 3 سنوات" . **خطيبي ، 2013 ، ص42 –43** .

هذه الخطة البديلة التي أعدتها كهينة للهروب إن لم تتزوج في الجزائر فكهينة تنظر إلى أنها عالة على المجتمع وعقدة الدونية التي تلازمها كأنثى ابتداء وكعانس كما –ترى- ودون شهادات (بكالوريا شهادة جامعية) وترجع كل هذا إلى أسباب غيبية مثل دعوات الصالحين وغيرهم والحسد ، إنها ترى ذاتها في مقابل الآخر الذكوري أدنى منه وترى نفسها مع بنات جنسها أقل مكانة اجتماعية وثقافية وعلمية ، إن عقدة الدونية التي جعلت من كهينة امرأة ناقصة فهي عانس تعاني البطالة رغم الوظائف التي تعمل بها فهي وظائف ضئيلة براتبها الزهيد ولا تحقق بها ذاتها فهي ترفض واقعها الاجتماعي و الاقتصادي بل ترفض وجودها عند محاولتها الانتحار ومحاولات الهروب المختلفة ، بل وترسم خططا هي أحلامها للانعتاق من الآخر الذكوري و المجتمع الذي يضعها هامشا .

4.4.نسق اللغة وتأنيث السرد في الرواية

تعتبر اللغة من أهم الأنساق الثقافية ، لأنها تعتبر الوعاء الذي يحتوي على جميع الأنماط الثقافية وسماتها ، فكلما يكتسبه الفرد ويتعلمه من الأنماط التي يصل عقله ووجدانه من خلال اللغة ، كما تعتبر الوسيط بين الأفراد و الثقافة ، ودورها في المجتمع لم يقتصر على اعتبارها أداة للاتصال بين أفراده فقط ، بل إنها أصبحت تمثل جزءا أو عنصرا هاما من عناصر الثقافة ، و أن فهمها فهما جيدا يتوقف على فهم أنماط الثقافة السائدة في المجتمع ، "فدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة و المحتوى الثقافي لا تعني شيئا أكثر من أن اللغة لها أساس ثقافي وأنه لا يمكن تحديد مفردات اللغة و دلالتها تحديدا دقيقا إلا بمعرفة البنية الثقافية لهذه المفردات" . **عبد الدايم ، 2011 ، ص 18** .

"ففلسفة الذات قد تجاهلت تمام الحديث عن الوسيط اللغوي الذي يحمل حججها حول أنا موجود أنا أفكر " **ريكور ، 2005 ، ص 85** ، وفي صراع اللغة و المعنى يحاول نيتشه إعادة ترميم الذات وتخليصها من الوعي الزائف لأن في المعنى تسكن الحقيقة "حين نكتب لا نحرص فقط على أن لا نفهم ، لكن أيضا على أن لا نفهم لو أن شخصا كائنا من كان حكم على كتاب ما بأنه غير مفهوم فليس ذلك إعتراضا كافيا عليه اطلاقا " **نيتشه ، 1993 ،ص 247** .

إن التعامل مع المتن السردي الروائي في كتاب الخطايا لسعيد خطيبي يقودنا للحديث عن الغيرية عنده وكيف له أن يخلع ثوب القلم الرجالي ويلبس ثوب قلم امرأة تخط اعترافاتها بلغة أنثوية بكل تفاصيلها باحتراف وتقمص يثير التقزز والقرف أحيانا عندما يتحدث عن التفاصيل النسائية (العادة الشهرية مثلا أو إحساسها في اللحظات الحميمية) ، "إذ الكتابة ليست قراءة ذات ، بقدر ماهي قراءة آخر يتجدد "**الغذامي ، 1998 ، ص** 55 .

إن الحديث عن اللغة في المتن الروائي لكتاب الخطايا يحيلنا إلى غيرية أخرى من خلال الأنا الأمازيغي في مواجهة الآخر العربي ، رغم أن الغيرية أو الآخرية تتجلى من خلال ثنائية (الأمازيغ ، العرب) وينتج عنها (أمازيغية ، عربية) ، وإن اعتبرنا الدارجة كلغة خطاب تقابل الفصحى (لغة الرواية) .

وقد يعتبر البعض الدارجة الموظفة كلغة وظيفية دورها الإخبار أو التعبير عن المونولوج أو الحوار الداخلي لأنثى جزائرية (أمازيغية) مظهرا من مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية فاعتبارها رواية ناطقة باللغة العربية ابتداء وإن كان تعدد اللغات لا يعبر عن تعدد الآداب القومية بقدر ما تعبر عن وحدة الأدب رغم تعدد أشكال التعبير ، وعندما نتحسس ونقرأ المتن السردي في الرواية نلاحظ اللغة الأنثوية التي تعكس المستوى الثقافي و اللغة كمعطى سوسيوثقافي على مدار الرواية خاصة في الحوار الداخلي وفي آخر الرواية حين نلحظ الكم الهائل من الأمثال الشعبية العامية وحديث المهمشين و المقموعين في قولها : "دار علينا الحال يا إسماعيل !! .. رانا في عام (صل وارفع سباطك) .. تهردت !! .. أجدادنا يقولو (الي ماشبع من القصعة مايشبع من اللحيس).. أحنا ماكلينا ما شبعنا ، حنا تحشاتلنا .. الزطلة غلات (الحشيش) "خطيبي ، 2015 ، ص 106 ، وهي بهذا تعلن عن الوداع بطريقة هستيرية تستحضر فيها اللغة الشعبية بأمثالها ومقولاتها ثم تواصل لتختم أخيرا : "أنا نعطيها في فلوكة (قارب) نعطيها لمرسيليا .. وخلي خبز الدار ياكلو البراني .. "**خطيبي ، 2015 ، ص106** ، إنها تودع الوطن الذي لم تره يوما وطنا في إشارة أنها ستطعم لحمها للأجنبي بعد أن زهد عنه أبناء البلد ، إنها لغة تعبر عن أنثى فقدت كل شيء وتريد استعادة كل شيء بحكمة الشيوخ و العجائز وبرعونة الشباب وطيشهم بأنثى متطلعة إلى الأفضل

بكل قوة النساء ومكرهن ، إنها ترفض الاستسلام فلغتها تحمل كثيرا من الحزن وتعبر عن الهامش الذي ظلت قابعة فيه منذ مراهقتها ، كما تعبر اللغة العامية عن الهروب الذي صار ضروريا بعد أن استحالت الطفلة البريئة إلى امرأة ناضجة – ولو بيولوجيا–

لقد كانت اللغة العربية –كنسق ثقافي– في المتن السردي العربي بصفة عامة و الجزائري بصفة خاصة فعلا مقاوما ونصا ممانعا ومركزا .

و اعتبار الحمولة الثقافية التي تحملها اللغة انطلاقا من العنوان مرورا بالعناوين الداخلية وتحليلا للغة الرواية التي خلعت ثوب الذكورة من لغة الكاتب و ألبستها لباس الأنوثة و الآخر الأنثوي ، وجعلت السرد مؤنثا في الرواية ، فالكاتب يقول "رواية كتاب الخطايا كتبت بلسان شابة أمازيغية ، تدعى كهينة . تستعيد الرواية يومياتها في الجزائر العاصمة ، تقمصت جلد فتاة وكتبت بلسانها مما جنبني أن تكون روايتي الأولى رواية سيرذاتية ." خطوة على طريق النشر/سعيد خطيبي ، مجلة قناص ، 5 أشهر ، مرت.

5. خاتمة

إن دراسة أعمال سعيد خطيبي وخاصة رواية كتاب الخطايا تقدم لنا تصورا واضحا عن طبيعة أنساق الغيرية و أشكال تمثيل الآخر الأنثوي في الرواية من خلال تعرية الأنساق الثقافية المضمرة في المتن الروائي وكيف ترتبط هذه الأنساق بالمؤسسة الاجتماعية و التركيبة الذهنية و النفسية للمجتمع وتأثيراتها السلبية على الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي .

كتب سعيد خطيبي روايته كتاب الخطايا وقد جنبها أن تكون رواية سيرذاتية لامرأة بإقحام الراوي (إسماعيل) الذي تكفل بالاستماع إلى اعترافات كهينة بخطاياها كتابة .

ولقد خلص سعيد خطيبي اللغة من الذكورة من خلال السماح لصوت المرأة بأن يخترق الأفق السردي المهيمن عليه من قبل الرجال من خلال مقاربة المدنس والاعتراف بالخطأ.

حيث استطاع خطيبي الغوص في أعماق الآخر الأنثوي ليستبطن كل أنساق الغيرية فيه عبر لغة حبلى بالعقد الاجتماعية الناتجة عن فشل عملية التحديث في الوطن العربي و الجزائر بوجه خاص وفشل الأنظمة و السلطات المؤسساتية في الاعتراف بالأنثى أو الآخر الأنثوي بل وتهميشه وجعله بعيدا عن المركز .

لقد وظف سعيد خطيبي لغة الدارجة كمظهر من مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية و التي كانت تتقاسم لغة المهمشين مع التراث الشعبي الجزائري كما وظف التاريخ السياسي للجزائر بحديثه عن الأمازيغ والأمويين وحديثه عن شيشناق ورمسيس وعن يناير واحتفالية يناير الأسطورية التي تعتبر من الطقوس المحلية التي تختص بها منطقة القبائل في الجزائر .

كما ذكر فكرة الهجرة إلى فرنسا حاول تغيير فكرة النجاح مستشهدا ببعض الهجرات الفاشلة التي قامت على التمييز العنصري و الإقصاء و التهميش و الحيلولة دون جعل الهجرة مشروعا ناجحا لدى الكثيرين .

قائمة المصادر و المراجع

- الأخضر بن السايح ، سرد الجسد وغواية اللغة قراءة لحركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى ، ط1 ، 2011 ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن .
- بول ريكور ، صراع التأويلات ، ترجمة منذر عياشي ، مراجعة جورج زناتي ، دار الكتب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2005 ، بيروت ، لبنان .
- عبد الله الغذامي ، المرأة و اللغة ، ج 2 ، ط1 ، 1998 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان .
- عبد الرحمان عبد الدائم ، النسق الثقافي في الكتابة ، رسالة ماجستير ، جامعة تيزي وزو ، 2011 .
- سعيد خطيبي ، كتاب الخطايا ، ط1 ، 2015 ، دار صفصافة للنشر و التوزيع و الدراسات ، الجيزة ، جمهورية مصر العربية .
- سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية بيروت.
- شرف الدين مجدولين ، الفتنة و الآخر ، أنساق الغيرية في السرد العربي ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2012 ، الجزائر العاصمة .
- الطاهر لبيب ، صورة الآخر العربي ناظرا أو منظورا إليه ، كتاب جماعي ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1999 .
- فريديك نيتشه ، العلم المرح ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1993 .
- *مجلة القناص:https: qannaass.com/%d8. D7.؟z.asalmi2023/ amp، 31-12-2023*